بدلاً من الحيرة بين تعريفات القاموسين الفرنسى والإنجليزى..

المعجم المصرى أولى بالرعاية

عادل العزبي

فى 16 و17 سبتمبر من عام 1997 عقدت بمصر الندوة الدولية الأولى لتنمية المشروعات الصغيرة، وتوسيع قاعدة رجال الأعمال، وكان ذلك بالتعاون بين كلية التجارة جامعة عين شمس وجامعة فاكسجو السويدية.. وفى هذه الندوة تم تعريف الـ "Entrepreneur" على انه "رجل أعمال".

وهنا علينا أن نتساءل..

ما معنى "رجل أعمال"؟

كلنا نعلم أن عوامل الإنتاج تتشكل من أربعة عناصر أساسية هى: المكان – رأس المال – العمل – ثم الـ"Entrepreneur"، أو المنظم الذى يعد من أهم العوامل فى عملية الإنتاج بالكامل، لأنه هو الذى يملك المنظومة الاقتصادية، وهو القادر على تجميع عناصر الإنتاج، وهو القادر على التقاط المشروع الجيد القابل للتنفيذ، وهو القادر على جمع القوى وترتيبها وحشدها وتنظيمها حتى يمكن بناء المشروع.

لقد كثر الحديث عن التعريف الفرنسى والإنجليزى للمبادر، فقاموس "لاروس" أشار إلى أنه المقاول، أو المتعهد، بينما القاموس الإنجليزى اعتمد نفس المعنى وأضاف إليه قائد الفرقة الموسيقية، أما القاموس الوحيد الذى تعرض لتعريف الـ"Entrepreneur" بالمعنى الذهنى، فهو القاموس الأمريكى، فعرفه على أنه فى الحقيقة مخاطر، إنشائى، مستثمر صغير، وفى نفس الوقت يدير المشروع ويتابع تنفيذه، وهو ما نسميه فى مصر "صاحب العمل" الذى يملك ويدير فى نفس الوقت.

وهنا يجب أن نشير إلى أنه يختلف عن مفهوم المشروع الصغير والمتوسط الذى نص عليه قانون تنمية المشروعات الصغيرة فى مصر.

المبادرون.. ومؤسسات الدولة

عادة ما نرى أن الدول التى تمتلك رؤية صحيحة، تسعى إلى احتضان أكبر عدد من المبادرين.. وذلك لتحقيق التطوير والتنمية الشاملة للمجتمع، من خلال زيادة الإنتاج، وبالتالى زيادة مستوى دخل الفرد، وعدالة توزيع الدخول، وتلبية احتياجات الأفراد من السلع والخدمات، وزيادة الاعتماد على الذات، بما يحقق فى النهاية زيادة الإنتاج، وترشيد الواردات، وزيادة الصادرات.

ويكون سبيل هذه الدول إلى ذلك عبر عدد من النظم والمؤسسات التى تساند "المنظمين" أو "المبادرين".. ولعل من أهم هذه النظم المساندة هو نظام التعليم، ولذا فعلينا أن نعيد النظر فيما يتعلق بمشروع محو الأمية، والتعامل معه باعتباره مشروعًا اقتصاديًا وليس تعليميًا، فمن غير المفهوم أن يكون مشروع محو الأمية تابعًا لوزارة التربية والتعليم.. وعلاوة على التعليم هناك نظم ومؤسسات أخرى داعمة للمبادرين.. منها النظام الثقافى، والنظام المصرفى، والمجتمع المدنى، والمؤسسة التعليمية إجمالاً.

كما أن تكاتف جميع الشركاء فى المجتمع يعد عاملاً حاسمًا فى هذا المجال.. فيجب أن تتكاتف جهود الحكومة، والقطاع الخاص، ومنظمات الأعمال، ومنظمات المجتمع المدنى، والمجتمع التعاونى.

الـ "Entrepreneur" مصطلح قديم

في مصر نجد أن وجود "المنظم" أو "المبادر" ليس جديدًا على

مجتمعنا، غير أن "المنظمين" لم يظهروا بوضوح إلا فى الفترة الأخيرة، عندما أسند إلى الرأسمالية الجديدة تنفيذ ما لا يقل عن 75% من خطط التنمية داخل جمهورية مصر العربية.. وقد يكون عدم بروز المصطلح على السطح فى السابق ناتجًا عن أن مصر مرت بعدد كبير من التحولات الجذرية منذ عهد محمد على إلى الآن، ويكفينا القول بأنه منذ عام 1952 إلى الآن مررنا بسبع تحولات، بدءً بمرحلة التحول الاشتراكى، ثم التمصير، ثم التأميم، ثم الانفتاح الاقتصادى، مرورًا بالإصلاح الاقتصادى، وصولاً إلى التحول لاقتصاد السوق، وأخيرًا ظهور الرأسمالية الجديدة.

ورغم هذا التواجد للمنظمين فى مصر إلا أن أثرهم فى المجتمع لا يكاد يذكر، إذا ما قارناه بدول أخرى.. فمثلاً نجد فى الولايات المتحدة الأمريكية أن 68% من الشعب يتبرع من دخله للأعمال الخيرية، و نجد أيضا أن لديهم صناديق خاصة بالتعليم، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بتمويل الجامعات، وكل هذا نابع من نشاط "المنظمين" فى المجتمع الأمريكى، وهذا يشير إلى قوة الحس المجتمعى لديهم.

وتاريخيًا نجد أن من أهم تجارب للمبادرين أو المنظمين، تجربة الهجرة الثالثة لليهود إلى الولايات المتحدة الأمريكية، من يهود روسيا والكتلة الشرقية، والتى بدأت عام 1881 واستمرت إلى عام 1921، هذه التجربة التى تحكى قصة نمو صناعة الملابس الجاهزة والاستهلاك القوى لها فى الولايات المتحدة.. وكان أغلب هؤلاء المهاجرون يعملون في صناعة الملابس الجاهزة، فقد كان الرجل وزوجته من هؤلاء المهاجرين يقومان بإنشاء ورشة يعمل بها بين خمسة وستة عمال، ينامون فى نفس المكان الذى يعملون به، وانتشرت هذه الورش بصورة كبيرة حتى بلغ عدد العمال بهذا المجال فى عام 1913 نحو 300 ألف عامل.

القاعدة التُساعية!

إن نجاح "المنظم" فى أى مكان من العالم، وخصوصًا فى مصر، يعتمد على ما يمكن أن نطلق عليه "القاعدة التساعية".. وتتلخص فى أن المنظم قبل أن يبدأ مشروعه يجب أن يسأل نفسه تسعة أسئلة هى:

1. ماذا؟.. أو ما هو المشروع الذى أود القيام به؟
2. أين؟.. ما هو المكان المناسب لهذا المشروع؟
3. لمن؟.. لمن أتوجه بهذا المشروع؟
4. لماذا؟.. لماذا هذا المشروع بالأخص؟
5. متى؟.. ما الوقت المناسب لتنفيذ المشروع؟
6. كم؟.. ما مقدار الكمية التى سينتجها المشروع؟
7. بكم؟.. ما هى تكلفة إنشاء المشروع؟
8. من أين؟.. من أين نحصل على التمويل اللازم؟
9. وكيف؟.. وكيف أحصل عليه؟

إن إجابة هذه الأسئلة التسعة تمثل دراسة الجدوى لأى مشروع..

وإلى جانب ذلك يجب أن يتحلى رائد الأعمال بعدد من القيم والأهداف، التى تضمن له النجاح والاستمرار.. وتتلخص فى:

- الالتزام.
- تقديس العمل.
- تقدير قيمة الوقت.. وفى هذا الجانب نجد أن بمجتمعنا ما يمكن أن نطلق عليه "السلوك الركودى السلبى".. ويتمثل هذا السلوك فى البطء الشديد عند بداية أى مشروع، وبالتالى نفقد كل المزايا التى كان من الممكن الحصول عليها إذا بدأنا فى الوقت المناسب.
- الإنتاجية، اتقانًا وكفاية.. وفى هذا الجانب نلاحظ تراجع الحرص على الإتقان فى مجتمعنا بدرجة كبيرة، سواء فى التعليم أو الصناعة أو الأداء ...الخ. ومن الضرورى أن تتكاتف كل الجهود فى المجتمع ـ وخاصة رجال الأعمال ـ من أجل تخطى هذه الظاهرة.
- عدم الخوف.
- السعى إلى المساندة المجتمعية، وليس إلى التدليل.
- ربط الشركات المحلية بالشركات العالمية.

الهموم العشرة لرجال الأعمال

- السوق والمنافسة.
- الإدارة والإنتاجية.
- الالتزامات المالية والاجتماعية.
- توقع المتغيرات والمستجدات وتأثيراتها.
- اختيار العاملين والمساعدين.
- التطوير والتحديث.
- مقاومة الضغوط وموضوعية رد الفعل على الضغوط.
- مواجهة الأزمات.
- الحفاظ على الاسم والتاريخ والسمعة.
- ضريبة الشهرة والصورة الذهنية السلبية عن رجل الأعمال فى مصر.